

## الموشح

الموشح هو الشعر الغنائي الرائج في جل البلاد العربية في نطاق التراث الموسيقي التقليدي، وما يزال محل عناية الشعراء والفنيين تصدر به الحفلات الراقية ويندوقه الخاص والعام وقد وصفه الأديب : أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد بن سناء الملك المتوفى سنة 608 هـ/1211 في مقدمة كتابه المشهور : "دار الطراز في عمل الموشحات بأنه معيار ألا فهم، وميزان الأذهان ولباب الألباب يلهي ويطرب إلى أن يقول وعرفت أن معرفتها {أي الموشحات} تزكية للعقل، وتعديل للفهم وجهلها تجريح للطبع، وضعف للذهن" - ويقول في تعريف الموشح : بأنه كلام منظوم على وزن مخصوص وأما ابن خلدون فيقول عنه في مقدمته : " وأما أهل الأندلس فما كثر الشعر في طرهم وتهذيب مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا سموه الموشح ينظمونه اسماطا اسماطا وأغصانا أغصانا ويكثرون منهم ومن أعارضها المختلفة ويسمون المتعددة منهم بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي ترك الأغصان متتالية فيما بعد إلى آخر القطعة وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات ويشتمل

كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد، وتجاوزا في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جملة، الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه .

ويحلل ابن سينا الملك الموشح بقوله : "وهو يتألف من ستنة أفعال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات وقال له الاقرع فالتام ما ابتدئ فيه بالأفعال والأفرع ما ابتدئ فيه بالآبيات .

ويعطينا موشح الأعمى الطليطلي المتوفى سنة 520 هـ 1126م { الذي سارت به

الركبان } مثلا للنوع التام وفيما يلي قفله :

ضاحك عن جمان \* سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان \* وحواه صدري

وقد لحنه في مقام ألنهاوند

وأما مثال النوع ألا قرع أي الذي يبتدئ بالآبيات فقدم لنا منه

سطة الحبيب أحلى من جنى النحل

وعلى الكئيب أن يخضع للذل

أنا في حروب مع الحدق النجل

ويبين لنا بعد ذلك أن أفعال المشوح أجزاء مؤلفة يلزم أن كون كل قفل منها متفقا مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزاءها، وان الآبيات هي أجزاء مؤلفة أو مركبة يلزم في كل بيت منها ان يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزاءها لا في قوافيها ، بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر هذا ويمكن للقفل أن يتركب من جزأين مثل :

راح ونديم

شمس قارنت بدرا

أو من ثلاثة أجزاء

قف يا نديم امزج عقاري... وأجرع كؤوس ... واشرب على لحن الهز أو من أربعة ثل  
قول إبراهيم بن سهل الأشبيلي المتوفى سنة 649 هـ/1251م :  
ليل الهوى يقضان \* \* والنجم ترب السهر \* \* والصبر لي خوان \* \* والنوم عن عيني بري وهو  
معروف في نوبة الذيل التونسية  
وهذا النوع هو الأكثر استعمالاً في الغناء وقد يتجاوز عدد أجزاء القفل ليصل حتى  
الثمانية .  
وأما الأبيات فقد تتركب من ثلاثة أجزاء فأكثر والمتداول منها في الغناء يكثر فيه  
التركيب من فقرتين وثلاثة أجزاء مثل قو العالم الصوفي الحسن الششتري المتوفى سنة 668 هـ/  
1269م .

#### الابيات

أوقدت في قلبي هواك	وقلت لي إياك تبوح
وكيف يخفى نور سناك	وقد بدا للناس يلوح
وكيف لي نعشق سواك	وأنت لي جسم وروح

#### القفل

أنت المحجة والدليل	من ذا يطيق عنك البعاد
يا راحة القلب العليل	فيه اجتمع كل المراد

وقد لحناه ضمن نوبة الزنكوله

وقد اجمع الكتاب علة ظهور الموشح بالأندلس على يد مقدم بن معافر القبري نسبة إلى  
مدينة "قبري" CABRA الذي عاش خلال القرن الثالث للهجرة التاسع ميلادي وقالوا انه نتيجة

للاتصال بين حضارتي الشرق والغرب وانه دعت إليه الحاجة الى تطوير الغناء العربي بالأندلس .

وفي رأينا انه لم يأت لذا أو ذاك فبالنسبة للقوالة الأولى فان الموشح جاء تطورا طبيعيا للشعر العربي وللزلج أو النبطي أو الشعر الملحون على ما يعرف به في مختلف الأقطار العربية .

ويرجع عهده الى أقدم العصور ويتناقله الرواة جيلا عن جيلا حتى اليوم وهو متمرالنتداول بالانتاج على غر أراه في شتى المناسبات الاجتماعية والسياسية والملحمية وغيرها وهو في تركيبه لا يبعد كثيرا عن مختلف أشكال الموشح ونورد في ما يلي نماذج منه  
أ- بالجزيرة العربية قطعة نظمها الحكمي سنة 1250 هـ

طلبتك بالذي يدري      بغيب السر والجهر

ويعلم كل ما نفعل

ينال الفضل طلابه

يرزق العبد ما يبخل

ب- **بالعراق**: الركباني وهو متداول في اغلب البلدان العربية وينتج لأغراض الحماس والفخر والمدح ويستعمل في الغزوات ويسمى حينئذ : ألحوا رب ومنه :

حنا أعمامكم لو رحلنا      يا جرد من نزل عليها

بحرابها يا منا طعنا      أو كم فارس صلنا عليها

ج - من المغرب : قول التهامي المدغري :

سلتك ببهاك يالرياح      مالك سكران دون راح

وأنا عقلي معاك راح بايت من ليعات لجراح

ساهر والنسا رايجا

بايت من ليعات لجراح

عقلي بهواك ما ارتاح

د- في تونس يروي شيوخ الفن زجلا ينسبونه للاجئين الاندلسيين لا يكاد يفرق عن الموشح التام وهو متداول في الغناء حتى الآن في مقام "رأس الذيل" مع التصرف بتنويع مقامات الآبيات والرجوع في الأقفال للمقام الأصلي وفيما يلي فقلان منه مع ما بينهما من أبيات :

#### القفال الأول

آه على ما فات ناري لها ووقود

هيهات هيهات زمن مضى يعود

#### الآبيات

هيهات يرجع زماننا إلينا

والبدر يسطع من افقه مبينا

والشمل يجمع كما مضى علينا

#### القفال الثاني

وتطيب الأوقات ونكمد الحسود

هيهات هيهات زمن مضى يعود

وبالنسبة للقولة الثانية فقد صفحنا الموشحات المغناة في جميع الأقطار العربية وحتى ما نسج عليها من غناء تركي وغيره فلم نجد منها ولو موشحا واحدا فقد اعتمد في نظمه على وزن

من الأوزان الموسيقية كما لم نجد ولو ملحننا واحد عبر العصور قد استفاد من التراكيب الشعرية للموشح في تلحينه له وهذا ما يجعلنا نجزم بان الموشح ما هو إلا تطور إيقاعي وتصرف وشح به الشعراء مؤلفاتهم ثم تناولها الملحنون وفرضوا عليها أوزانهم الموسيقية فاضطروا إلى إعادة الكلمات ومد المقصور من الأحرف، ولربما يكون ما عرف عند الناس من جواز اللحن في اللحن هو من هذا الباب لا غير لان اللحن في النحو أوفي اصرف لا يقبل من المغني العارف المحترم . وفي ذلك قوله بشار بن برد المشهور :

وكلام ألفة وهو مما يشتهي الناعتون يوزن وزنا

منطقا صائب وتلحن أحيانا أحلى الحديث ما كان لحنا

كما اضطروا إلى إضافة عدد من الكلمات الخارجة عن الموشح تعرف في الاصطلاح الموسيقى بالترنيمات تكون بالعربية مثل " يا ليل " و " يا دانة " وما اشتق منهما ، أو التركي مثل " جانم " بمعنى روجي و "أمان" للاستعطاف أو بالفارسية مثل " يادوست " بمعنى حبيبي و "فريا دمن" بمعنى النجدة وفي رأيي أن اشتراك غناء الشعب الثلاثة المذكورة في ترنيمات موحدة يمثل عنصرا إيجابيا في انتسابهم جميعا للحضارة الإسلامية .

وقد برزت هذه الظاهرة في موشح محمد عثمان المشهور "مألاً الكاسات وسقاني" في مقام الراست الذي يدخل من الوقت الثاني من إيقاع السماعي ثقيل وكذلك الموشح القديم الذي اشتهر بغنائه محي الدين بوعيون في مقام العراق وإيقاع المربع " جل من أنشى جمالك فنة للناظرين وموشح "صفي الحلي" لا زال دهرك سعيد " في مقام الإصبعين (الحجاز) وإيقاع البطايحي من الحان الشيخ أحمد الوافي بتونس .

## الغناء والموشحات

أ- في المغرب العربي :

من المعروف أن بلدان المغرب ورثت جانبا وافرا من الموشحات الاندلسية وما تزال معتزة بها وقد جلبتها الجاليات العربية الاندلسية التي استوطنت هذه البلدان، وقد شكلت هذه الموشحات عنصرا هاما من التراث الموسيقي الذي سجل في الاسطوانة وفي الأشرطة ودون في الكتب وتقام له المهرجانات والمريات والندوات الوطنية والقومية والدولية في المدن والقرى التي يقطنها هؤلاء الاندلسيون الذين عرفوا بالمحافظة على تقاليدهم، من ذلك مهرجان مدينة شفشاون بالمغرب

- ومهرجان مدينة "تستور" بالجمهورية التونسية

وتقدم الموشحات أما في إطار فني يجمع بين المعزوفات والقطع الغنائية مرتبة بطريقة خاصة ويعرف هذا الإطار بالنوبة وحينئذ لا يقدم من الموشح التام سوى قفلين وما بينهما من أبيات ومن الموشح الأفرع سوى الآبيات والقفل الموالي لها ويسمى الموشح باسم الإيقاع الموسيقي الذي وضع عليه مع إضافة النوبة والمقام الذي لحن عليه فيقال مثلا "بطايحي نوبة السيكاه " .

\* في تونس : وضعت أسماء المقامات التي لحننا عليها النوبات بما اشتملت عليها من معزوفات وموشحات في قطعة شعرية وضعها العالم الصوفي الشيخ أبو عبد الله الطريف المتوفى سنة 786 هـ 1385 م طالعا :  
من سفك ديم ومن تحبير أجفاني

صغت الهوى حلية من حر نيران

ومنها : جس الرهاوي وحر الذيل من طرب

وتاه في الرمل أحيانا فاحياني

وقد جاء ترتيب النوبات التونسية في زجل من نوبة مقام "النوى" وهذا نصه

"بالذيل" قلبي كاوي

يجر الريا رهاوي

"سيكاه" مع الحسين

أما "العراق" يساوي

"أما النوى" في غاية

"الرصد" ورمل الماية

رأست الذي يحييني

الإصبعين دويا

"عل الاصبغان" يسلم

"الرمل" حين تنغم

"ماية" في الفصلين

"مزموم" به نتمم

وقد قمنا بدراسة ضافية لمقامات الموسيقى العربية مع مقارنتها بالتي للبلدان التي نالها شرف الارتواء من حياض الحضارة الإسلامية في كتاب نشره المعهد الرشدي للموسيقى العربية بتونس وأعيد نشره مع توسع في دار المغرب الإسلامي ببيروت وقد لحن الموشحات التامة في تقاليد المغرب العربي بكاملها وحينئذ تحتفظ الأقفال بلحن موحد ويشترك معها البيت الأول في المقام بينما تتنوع بقية الآبيات في مقاماتها وهي ظاهرة فنية حضارية نادرة في التراث الموسيقي العربي.

وقد اعتنى المجمع العربي للموسيقى فور تأسيسه في السبعينات بانتج موشحات جديدة على نسق تراثنا العربي ونظم في ذلك مباراة قومية شارك فيه خمسة وعشرون ملحنا من مختلف الأقطار العربية اسمترا منهم ثمانية في الدورة الأولى وقد م لكم منهم ثلاثة موشحات في حفل بهيج أقيم بالعاصمة التونسية أحرز فيها الفنان اللبناني الراحل الأستاذ طليم الرومي الجائزة

الأولى وبثت الموشحت الممتازة من إذاعات مختلف الأقطار العربية وهي بادرة يحين الرجوع إليها لضمان مواصلة إنتاج الشباب على نسق التراث نظما وتلحيننا علنغرار ما يجري في البلدان الغربية بالنسبة لإشكالهم الموسيقية مثل السنفونية الحديثة التي تقام لها مهرجانات كمهرجان "موسكو" وغيره .

### الموشحات الغنائية الشرقية :

إن الموشحات توجد ضمن التراث الموسيقى العربي في كل من الشام ومصر وفلسطين والأردن ولبنان وأدخلت حديثا للعراق عن طريق الموسيقار الحلبي المرحوم الشيخ على الدرويش المتوفى سنة 1363هـ 1957م واحد تلاميذه الفنان الممتاز الفلسطيني الأستاذ روجي الخماش في إدارته لفرقة الإنشاد العراقية وتدرسه بكل من معهد الفنون الجميلة ومعهد الدراسات النغمية الذي تشرفت بالمشاركة في تأسيسه وهذه الموشحات قد تكون عبارة عن غناء أبيات قليلة من الشعر مثل موشح مقام الراست وإيقاع المصمودي الشائع في اغلب البلدان العربية وهو لا يزيد عن البيتين الآتيين :

أحن شوقا الى ديار رأيت فيها جمال سلمى

شربت منها لما عقار من يد ساق شراب ألما

وهو من تلحين أبي الفضل كمال الدين عبد القادر المرراغي صاحب مجموعة من كتب العلوم الموسيقية والمتوفى سنة 858 هـ 1434 م بسمرقند أو مقطع من موشح من النوع الأقرع أي البيت أو الأبيات وقفل واحد ويسمى القفل في الوسط الفني " الطالع" مثل موشح مقام الراست وإيقاع النوت وقد سجله الشيخ السفطي "يا هلا لا غاب عني واحتجب" وموشح البياتي وإيقاع المدور الشرقي فيك كلما آري حسن " وموشح مقام الحجاز وإيقاع القصاق "ما احتيالي يا رفاقي " وهو من الحان الفنان السوري الشيخ أحمد أبي خليل القباني المتوفى سنة 1321 هـ 1903م وجميعها شائع في الأوساط الفنية ،

ومن العناية بالموشحات نظما وتلحيننا أصدرت اللجنة العليا للموسيقى العربية بالقاهرة بفصل رئيسها الأستاذ احمد شفيق أبو عوف أربعة مجلدات كما اصدر الدكتور فؤاد رجائي والأستاذ نديم الدرويش في حلب كتابا فحما عنوانه من كنوزنا واصدر الاستاذ سليم الحلو في لبنان مجلدا هاما عنوانه

الموشحات الاندلسية واصدرنا في نطاق وزارة الشؤون الثقافية بتونس تسع مجلدات ضمت جميع الموشحات نظما ولحنا بالنوتة كما أصدرت الإذاعة الجزائرية مجموعة من اسطوانات في هذا المجال هي حصيلة عدد من المهرجانات المقامة في هذا السبيل بعيد الاستقلال، واصدر كل من الأستاذ الحاج إدريس بن جلون رئيس جمعية الموسيقى الاندلسية



والأستاذ الحاج عبد الكريم الرئيس بالمغرب كتابا ضم كلمات الموشحات حسبما جاء في كنفش " محمد بن الحسن الحايك الذي كتبه سنة 1202 هـ 1788 م واصر الاستاذ يونس الشامي كتابين بهما نوبتا " رمل ألاميه ورأست الذيل بالنوطة الموسيقية واصرت وزارة الثقافة تساجيل بالليزر لجميع النوبات.

واصدر الاستاذ محمد مرشان كتابا بالجمهورية اللبية ضم عدد من الموشحات وقد قامت الدكتورى رتيبية الحفين مع هيئة مهرجننا هذا مشكورة بنشر تسجيل لعدد من رواد الموشحات بمصر على اشطره كسات ونحن مدينون لها بتمكننا من الاستماع لصوت الأستاذ الكبير المرحوم درويش الحريري .

وبالنسبة للتلحين فمدرسة الموشحات تواصلت حتى الآن بحمد الله حيث سار في مهيعها كل من الحاج "إدريس بن جلون ومولاغي العربي الوزاني في المغرب والأستاذ روجي الخماشي الفلسطيني بالعراق وتعاونت مع الأستاذ فهيمي عوض المصري ليحن كل منا عدد طيبا من الموشحات في المقامات التي لم يتناولها الملحنون قبلنا مثل مقام اللامي العراقي الذي لحننت لعيه موشحين للشاعر العراقي الاستاذ كاظم العرشور وقام بغنائهما صديقنا المرحوم الاستاذ محمد القبانجي

- |    |                |           |
|----|----------------|-----------|
| 1- | أعطني من رضاك  | ما يطيب   |
|    | واسقني من لماك | يا حبيب   |
|    | فألها في هواك  | واللهيب   |
| 2- | تورق الآمال    | في مغانيه |

إن قلبي مال  
لو درى العذال

يالياليه  
ما الاقيه

ولحنت في الجهاركاه عدد من الموشحات غنى منها صديقنا الأستاذ صباح فخري باسم  
عن لآل وأخرى في مقام ألبسته كار غنى منها الرحو الشيخ أمين حينين سالم "سلم الأمر  
للقضاء" وفي الزنكولاه جعلني غرامي بعشقه مثل في وزن الشنبر وفي النواثر وفي إيقاع مبتكر  
وفي الصبا والنكريز ولكردى وغيرها من الموشحات الشرقية أما في المقامات المغاربية فقد لحن  
الشيخ خميس الترنا في مقامات المزموم والنوع والحسين وله نوبة أنجزت بمناسبة الذكرى  
الأولى للاستقلال تونس وعنوانها نوبة الخضراء ولحنت أربع نوبات في مقامات العجم عشرين  
والزنكولاه والمحير عراق والمحير سكااه وهي منشورة بالسفر التاسع من التراث الموسيقي التونسي  
نظما وترقيما بالنوتا ومسجلة بالإذاعة التونسية .

واشتهرت بالشام موشحات الأساتذة عمر البطش وعلي الدرويش ومجدي العقيلي ونديم  
الدرويش وغيرهم .

وبالجملة فان الموشحات تمثل روعة من روائع الأدب والفني العربيين ولم تتناولها  
المعاهد الموسيقية والجامعات بالجمع والدرس ولم تعتن بها المؤسسات الثقافية بالتشجيع على  
الانتاج والتطوير لطغى عليها سيل الثقافات الأجنبية الذي يتواصل اكتاسحه للاسواقنا وسوف  
يعم بيوتنا ونوادينا بالرغم عنا عن طريق البث التلفزيوني بواسطة الأقمار الصناعية والله يوفقنا  
لما فيه خير العروبة والإسلام .

الدكتور: صالح المهدي